الاستعانة بغير الله

إذا سألت فاسأل الله:

في دراستنا لقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ قلنا إن الناس أربعة أصناف:

1 - صنف يعبد الله ويستعين به.

2 - صنف لا يعبد الله ويستعين به.

3 - صنف لا يعبد الله ولا يستعين به.

4 - صنف يعبد الله ولا يستعين به.

وهذا الصنف الرابع إذا احتاج إلى الاستعانة واضطر إليها نراه يستعين بغير الله، والعياذ بالله، ولو صح أنه يعبد الله لما استعان بغيره، والأرجح أن أكثر هؤلاء ممن عبادتهم عادة وليست عبادة، لأن القلب الذي يخلص العبادة لله لا يتوجه لغيره ولا يستعين بسواه، والحديث النبوي واضح وصريح ولا يحتاج إلى تأويل: **«إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله»**.

أنواع الاستعانة:

لقد خلق الله الخلق وسبب الأسباب، وجعل الأمور التي نحتاجها في حياتنا على نوعين:

نوع لا يقدر عليه إلا الله وحده سبحانه، كالإماتة والإحياء والسعادة والشقاء، وإجابة الدعاء والشفاء، والرزق إلخ.. ونوع نتداوله بيننا ونساعد به بعضنا بعضاً.

لو طلبت من صديق لي أن يساعدني للحصول على عمل في مؤسسة يملكها قريب له أو أحد معارفه، أو سألت قريباً لي أن يقرضني بعض المال الذي أحتاجه فهل أكون مستعيناً بغير الله؟ أبداً فهذه من الأمور التي نساعد بها بعضنا البعض؛ لكن هناك أموراً لا يجوز أن نطلبها من غير الله.

يذهب أحدهم بولده إلى شيخ من المشايخ وهو يجر طفله الصغير بيده، ويقول: أرجو أن تبارك لي ولدي، وكأن البركة تكون من غير الله فهذا من الاستعانة بغير الله، ولو قال له: ادع لي الله أن يبارك لي في ولدي، لكان الأمر من دعاء المسلم لأخيه بالخير، فإن دعا له قالت الملائكة له: «ولك بمثل».

ولو دعا هو الله أن يبارك له في ولده خصوصاً في الأوقات التي هي مظنة الإجابة دبر الصلوات، لكان مستجيباً لقوله تعالى: ﴿ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: 60] أما إن جعل بينه وبين الله واسطة فاستعان بغير الله فقد وقع في الشرك، وحقق غاية إبليس الكبرى.

إن الشيطان يسعى ليدفع الإنسان كي يستعين بغير الله بمختلف الوسائل ليقع في الشرك فيثبت أن هذا الإنسان المخلوق

من الطين لا يستحق أن يكون من عباد الله المكرَّمين وأنه كان على حق عندما رفض السجود لآدم عندما أمره الله بذلك.

هو يسعى لإهلاكك فإن أطعته كنت الجاني على نفسك.

لو أمرك أحدهم أن تلقي بنفسك من أعلى الجبل إلى الوادي أو إلى البحر فهل تطيعه وتفعل ذلك؟

لا أظن أنك تقبل لأنك تعرف أنك إمَّا أن تموت أو تتحطم عظامك وتعاني الآلام الشديدة؛ فكيف تطيع من يريدك أن تستعين بغير الله كي تقع في الشرك وتستحق العذاب المقيم في نار جهنم، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: 48 – و116].

سؤال وجواب:

سأخبركم الآن بأمر في منتهى العجب، لقد سأل الصحابة الرسول ﷺ أسئلة كثيرة أوردها القرآن الكريم وأجاب عنها جميعها بكلمة «قل».

قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [الأنفال: 1] ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ [البقرة: 217]، ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾ [البقرة: 189] ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ [البقرة: 219] ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾

[المائدة: 4]، ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾﴾ [طه: 105].

كل هذه الأسئلة وغيرها جاءت الإجابة عنها بلفظ «**قل**» إلا سؤالاً واحداً سأله أعرابي للرسول ﷺ فقال: «يا رسول الله، هل الله بعيد فنناديه أم قريب فنناجيه؟ فنزل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: 186].

لم يقل الله تعالى جواباً على هذا السؤال «فقل لهم إني قريب»؛ لماذا؟ لأن الله تعالى لم يرد أن يجعل بينك وبينه واسطة حتى لو كان رسول الله ﷺ فلم تنزل الآية: «فقل لهم إني قريب» ولكن نزلت: ﴿فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ﴾ [البقرة: 186].

إذن أنت لست بحاجة لواسطة بينك وبين الله فبمجرد أن تتقرب إلى الله يقبل الله عليك ويغفر ويرحم ويستر ويعفو ويرزق ويشفي.

طلب المدد:

إن كل المطلوب منك إن رجوت شيئاً أن تدعو الله ولا تجعل بينك وبينه واسطة، لكن الكثير من الناس يقعون في متوارثة سمعوها ويرددونها دون تفكر كمن يقول: مدد يا فلان، مدد يا سيدي فلان، والمدد لا يكون إلا من الله وحديث رسول الله ﷺ واضح وصريح كما سبق وذكرنا: «**إذا سألت فاسأل الله**»

«**ثم وإذا استعنت فاستعن بالله**»؛ ومن يسمع ذلك أو يقرأه عليه أن يبلغه لمن لا يعلمه لكي يقلع عن الاستعانة بغير الله جهلاً بغير علم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران: 187] فنحن أيضاً مأمورون أن نبين هذا الأمر للناس، والمدد عطاء من الله ولا يكون إلا منه، قال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم﴾ [الأنفال: 9] فإن استغثت بالله وطلبت منه المدد أجابك وأمدك وأثابك ثواب الدعاء أيضاً، وإن طلبت الغوث والمدد من غير الله لم تنل ما تريد من مدد وحملت فوق ذلك إثم الاستعانة بغير الله، فأي الأمرين خير لك؟ أما من يفعل ذلك بجهالة فعليه أن يتوب ويستغفر عمَّا مضى ولا يعاود، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ﴾ [النساء: 17]؛ وما دام قد فعل ذلك بجهالة فعلينا أن نعلمه ونطلب له الهداية من الله؛ ولا نعين الشيطان عليه بلعنه، ولا ندفعه إلى الإصرار عناداً بأسلوب كلامنا الفظّ معه ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [آل عمران: 159].

ولهؤلاء نقول: إن طلب العون إنما يكون من الله وحده، أما أن تجلس أو تقف قرب ضريح وتمسك صورة طالباً المدد، فأنت تطلب من الميت أن يساعد حيّاً، والميت لا يقدر على مساعدتك بشيء ولن يقدر على الدعاء لك.

قد يرد بعضهم ويقول ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يونس: 62] وأنهم ليسوا أمواتاً ﴿بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: 169]؛ وبهذا ردوا هم على أنفسهم ولا يشعرون؛ إنهم أحياء، نعم، ولكن عند ربهم وليسوا أحياء عندكم، وأبو بكر الصديق رضي الله عنه قال لما مات رسول الله ﷺ: «من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت» فبالنسبة لنا هو قد مات، وبالتالي فلن نقدر على طلب شيء منه بعد الآن، فكيف نطلب من الميت ونترك الحي الذي لا يموت؟

والله سبحانه وتعالى يقول لهؤلاء المستجدين المستعينين بالأموات ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾﴾ [النحل: 20 - 21].

أما الصحابة فقال الله لهم: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ لأنهم استعانوا بالله وطلبوا المدد منه ﴿فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ لأنه سبحانه يجيب دعوة الداعي إذا دعاه ﴿أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: 9].

وإذا أردت الاستعانة بالله فأنت لا تحتاج إلى ترجمان أو وسيط ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾ [ق: 16] أي أنه أقرب إليك من نفسك، فلم

تترك القريب وتذهب للبعيد، صاحب القبر، الميت الذي لا يقدر على نفع أو ضر لنفسه وتطلب منه النفع والمدد؟

خبر الأعرابي:

جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فكلفه بأمر فأجاب: ما شاء الله وشئت فقال له النبي ﷺ: «**أجعلتني لله نداً؟ لا تقل ما شاء الله وشئت، ولكن قل ما شاء الله ثم شئت**» لذلك إذا طلبت خدمة من أحد فلا تقل: سأعتمد على الله وعليك ولكن قل: سأعتمد على الله ثم عليك؛ فهكذا تحفظ صحة عقيدتك، هذه العقيدة التي ستسأل عنها يوم القيامة.

تعالوا نسأل معاً هؤلاء الذين يذهبون للأضرحة والقبور ليطلبوا العون أو ينادون الأموات طالبين المدد:

- هذا الولي الذي تنادونه وتطلبون منه المدد أهو محتاج لله أم غير محتاج؟

فسيقولون: بل هو محتاج.

- ولماذا يذهب محتاج إلى محتاج؟ هو يستعين بالله فلم تذهب أنت إليه ولا تستعين بالله كما فعل هو ما دامت حاجتك وحاجته عند قاضي الحاجات في السماوات وفي الأرض، رب العالمين.

كلمات شائعة:

هناك كلمات يستعملها الناس ولا يتبهون لمعانيها، من هذه الكلمات كلمة «شيلله» والمراد بها «شيء لله» لكن العامة حذفوا الهمزة وألانوا الكلمة ودمجوا اللفظتين معاً».

ومعنى «شيء لله»: أعطني شيئاً لله» فهي لفظة استعطاء واستجداء ويستعملونها للاستعانة بالأولياء والصالحين ولذلك يقولونها عند قبورهم.

يزور أحدهم أو إحداهن ضريح السيدة زينب في القاهرة فيقول: «شيلله يا أم هاشم» أو يذهب لأحد الأضرحة وينادي: شيلله يا سيدي يا فلان، نَفَسَك معايا في كذا وكذا، أو نفسك مع ولدي فلان أو بنتي فلانة» «ونفسك معي» تعني «ساعدني وقف إلى جانبي وأعنّي في هذا الأمر».

كيف سيقف بجانبك ويساعدك ويعينك ويقف بجانبك وهو قد مات وأفضى إلى ما قدم وأنت ما زلت في دار العمل؟ إنهم يستعينون بالأموات وكأنها «عبادة الأجداد الوثنية» وقد تجددت لكن بشكل آخر، وحديث رسول الله ﷺ واضح فهو يأمرنا ألا نستعين إلا بالله وحده.

إذا كنت تحب هؤلاء الأولياء والصالحين وآل البيت حقّاً وصدقاً فعليك أن تقتدي بهم وتعمل كعملهم وأن تكون سيرتهم النبراس الذي تسير على هديه، وهم قد عبدوا الله وحده ولم

يستعينوا بغيره، فكيف تدعي حبهم وأنت تفعل عكس ما فعلوا، هم استعانوا بالله وأنت تستعين بغير الله؟

نادرة عند ضريح:

عاد أحد الأصدقاء من الخارج بعد أن أنهى دراسته فيها فذهب إلى أحد المساجد التي تضم ضريح أحد الأولياء لأداء الصلاة.

أدى صلاته وجلس يدعو الله ويسبح في مكان قريب من الضريح، وإذا بامرأة تسرع وتمسك بقفص الضريح وتدعو: «نَفَسَك معي يا سيدي يا فلان، إن ابنتي في حالة وضع، ساعدها يا سيدي يا فلان» أكثرت من الدعاء والاستنجاد ثم ذهبت.

جلس الرجل مستغرباً، كيف سيخرج هذا الولي الصالح من قبره ويذهب لمساعدة هذه المرأة التي تعاني من آلام الوضع؟

لم تمض دقائق حتى جاء رجل وأمسك بالقفص كما فعلت المرأة قبله وأخذ يقول:

يا سيدي فلان، إن ابني يقدم امتحانه في الثانوية العامة، نفسك معه، ساعده، قف بجانبه حتى ينجح... إلخ لم يحتمل صاحبنا أكثر من ذلك، واحد يروح وآخر يأتي، فقال له:

اسمع يا هذا لا تكثر من الطلب فهو غير موجود الآن، لقد ذهب لمساعدة امرأة في حالة وضعٍ، وعندما يرجع تعال واطلب ما تريد!

إن حاجات الخلائق لا يقدر على قضائها إلا الله وحده، وعند الأضرحة أناس تأتي وتذهب طالبة العون من غير الله في مساجد بنيت ليعبد فيها الله وحده، والعلماء في المساجد يرون ويسمعون ولا يحركون ساكناً.

إن هذا السكوت منهم يطرح علامات استفهام كثيرة فلا بد أن نقول للناس إن النفع والضر بيد الله وحده، فهو النافع الضار، وأن أولياء الله والصالحين وآل البيت تكون محبتهم بالاقتداء بهم؛ وبالالتجاء إلى الله كما فعلوا، وبالاستعانة بالله كما استعانوا، أما نحن فلن نسأل إلا الله ولن نطلب من غير الله ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ [النمل: 59] فيجب أن نحترم الأنبياء والأولياء ولكن لا نستعين بهم، فالاستعانة بهم شرك ﴿ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النمل: 59] وبالطبع فإن الله خير ومصدر كل خير ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾﴾ [النمل: 60 - 61] ولو علموا عاقبة شركهم لربما تفكروا ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ من السماء والأرض ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: 62] ولو تذكّروا ما دعوا

إلا الله وحده ﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [النمل: 63] والخامسة ﴿أَمَّن يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [النمل: 64] ولا برهان لدى من أشرك بالله.

الدعاء والعبادة:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ﴾ أيها النبي ﴿وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ﴾ من الأنبياء أن يقولوا لكل مؤمن يتبع دعوتهم ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ﴾ فعبدت أو دعوت أو استعنت بأحد غير الله تعالى ﴿لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ فتخسر حسناتك وما قدمته من خير وتكون مع المشركين ﴿وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: 65] فإياك أن تقع في الشرك وتجعل لله نداً باستعانتك بغير الله.

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: 56] والعابد لله يستعين به فإن استعان بأحد غير الله فمعنى ذلك أن هناك خللاً في عبادته نفسها، خللاً يحتاج إلى إصلاح؛ فقد قال رسول الله ﷺ: «**الدعاء هو العبادة**» لأن العبادة والدعاء التجاء إلى الله تعالى، فلو أن إنساناً التجأ لغير الله فهذا يعني بالضرورة أن الخلل قد أصاب عبادته والدليل واضح في كتاب الله، فقد قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: 60] وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ

جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: 60] أي: إن الذين يستكبرون عن دعائي سيدخلون جهنم داخرين. والدليل أنه بعد أن عدد بعض نعمه تعالى على الناس في الآيات التالية قال في الآية 65: ﴿فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾؛ فإذا كانت العبادة هي الدعاء والدعاء هو العبادة فلا يجوز لإنسان أن يدعو أحداً غير الله أو أن يلجأ لسواه، فله وحده ترفع أكف الدعاء والضراعة، نسأله، لا نسأل أحداً غيره.

سؤال إبراهيم عليه السلام:

بعد أن انتهى جماعة النمرود من إعداد المحرقة التي أرادوا أن يرموا في أتونها سيدنا إبراهيم عليه السلام، وارتفعت كالجبل، نصبوا منجنيقاً، كتّفوا خليل الرحمن ووضعوه في المنجنيق ثم أطلقوه فارتفع في الهواء قبل أن يسقط وسط أتون المحرقة، وهنا جاءه جبريل عليه السلام فقال: ألك حاجة؟

تصور رجلاً مقيَّداً قد ارتفع في الهواء والنار متقدة تحته وهو سيسقط لا محالة وسط النيران يأتيه من يسأله: ألك حاجة؟ الأمر الطبيعي أن يقول له: أبعدني عن هذا المكان؟ فماذا كان جواب إبراهيم عليه السلام؟

قال: أمَّا إليك فلا.

هل يمكنك أن تتخيل ذلك، لحظات ويقع وسط النيران

ومع ذلك يقول لجبريل عليه السلام: «**أما إليك فلا، أمَّا إلى الله فإن علمه بحالي يغنيه عن سؤالي**».

لا يمكن أن يقف هذا الموقف، ويقول هذا الكلام إلا من كان قلبه ممتلئاً بتمام التوحيد وكمال التوحيد.

دعاء الصحابة يوم بدر:

كان المشركون أضعاف المسلمين يوم بدر، فهل طلبوا من أحد من الناس أن يأتيهم بمدد؟ هل طلبوا المدد من الرسول ﷺ؟ هل طلبوا النصر بعدتهم أو عديدهم؟ لقد أعلمنا الله سبحانه وتعالى باستغاثتهم فقال عز وجل من قائل ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ لقد استغاثوا بالله وحده فماذا كانت النتيجة؟ ﴿فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ لقد استجاب الله لاستغاثتهم ﴿أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: 9] والله سبحانه وتعالى يحب العبد اللحوح في الدنيا، يكرر الدعاء مرة بعد مرة بعد مرة دون أن ييأس من روح الله لأنه يعلم أن الاستجابة آتية لا ريب في ذلك ولا شك ولا يأس. إن أي إنسان تلح عليه في الطلب ولو كان أخاك وأباك سيمل بعد فترة ويغضب منك ومن كثرة سؤالك، أما الله سبحانه وتعالى فلا يملُّ من سؤال عبده له، وإلحاحه، بل يغضب إن لم تدعه وتطلب منه، ولذلك أخبرنا الرسول ﷺ: «**إن الله إذا أحب عبداً ابتلاه ليسمع تضرعه**» أترى كيف أن الله يحب سماع دعائك، فكلما دعوت كلما اقتربت، وكلما ألححت بالدعاء والتوسل والتضرع وأنت موقن بالإجابة فلن يردك الله خائباً.

جواب الشرط:

في اللغة يكون جواب الشرط ردّاً على فعل الشرط، فنقول مثلاً: «إذا فتحت النافذة دخل الهواء» أو «إذا درست نجحت»، ففعل الشرط في الجملة الأولى: «فتحت» وجواب الشرط: «دخل الهواء» وفي الجملة الثانية فإن فعل الشرط «درست» وجواب الشرط «نجحت»؛ وقد قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: 186]، ولم يقل «رُبَّما أكون قريباً، أو «قد أكون قريباً».

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: 60] فالقائل هو الله سبحانه وتعالى، ووعده حق، فاجتهد أنت في الدعاء فإن الاستجابة آتية.

لكن الناس تفسد دعاءها بتوسلها بغير الله واستعانتها بغير الله وتوكلها على غير الله.

في جملة الشرط يجب حصول فعل الشرط ليحصل جواب الشرط، فإذا لم تفتح النافذة فلن يدخل الهواء، وإذا لم تدرس لن تنجح ولذلك لكي تحصل الإجابة يجب أن تقوم بالفعل الذي تترتب عليه الإجابة ألا وهو الدعاء؟ وقوله تعالى: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: 186] تقدم جواب شرط على فعله، وهذا دليل على كرم الله تعالى بأنه سيجيب دعاءك بمجرد دعائك

وقبل أن تبدأ بالطلب؟ وهذا منتهى الإكرام ولا يكون إلا من الله تعالى.

شروط الإجابة:

قال تعالى: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾ [البقرة: 186] فالإجابة في هذه الآية قد سبقت الدعاء ولذلك قال العلماء: لا توجد دعوة من غير إجابة، ولكن لتتم الإجابة لا بد من إتمام شروط ذكرها لنا رسول الله ﷺ في حديثه الشريف إضافة لما جاء في القرآن الكريم.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: 27] لأن المؤمن التقي سيطلب في دعائه ما يساعده على تقواه ويحفظه في درب الطاعة أما شارب الخمر والزاني والسارق إلخ... فإجابة دعائه مساعدة له على معاصيه.

قال رسول الله ﷺ لمعاذ: «**يا معاذ أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة**» كما روي من رسول الله ﷺ: «أن الرجل يأتي أشعث أغبر يرفع يديه بالدعاء قائلاً: يا رب يا رب، ومأكله حرام ومشربه حرام وغذّي بالحرام فأنى يستجاب لذلك».

إذن فالبعد عن الحرام في المأكل والمشرب من شروط الإجابة، فإذا أكلت حراماً أو شربت حراماً حرمت نفسك من الإجابة، وإذا غذّيت أطفالك بالمال الحرام حرمتهم أيضاً من استجابة دعواتهم إلا من رحم ربي.

الإلحاح بالدعاء:

قال رسول الله ﷺ: «**يستجاب لأحدكم ما لم يعجل، يقول: دعوت فلم يستجب لي**»، والتعجل وترك الدعاء يأس، وقد قال تعالى: ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: 87]، فمن ييأس يكون غير موقن بوعد الله في كتابه بالإجابة ومن لم يصدق وعد الله يكون بالتالي كافراً.

أنواع الإجابة:

عندما تدعو الله عز وجل وأنت موقن بالإجابة فإن الله سبحانه وتعالى سيجيب دعوتك بما هو خير لك، وقد فصَّل العلماء أنواع الإجابة كما يلي:

1 - قد تكون الإجابة بنفس الدعاء إن كان هذا خيراً لك، فإن طلبت رزقاً في الدنيا فقد قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [الجمعة: 11].

2 - قد يؤخر الله الإجابة لوقت تكون فيه أحوج من الوقت الذي تظن أنك محتاج فيه، فيأتيك المدد من الله في وقت لا تتوقع فيه المدد.

3 - قد تكون الإجابة بما هو أفضل مما طلبت فتكتب لك حسنات وترفع عنك سيئات فتنال بذلك خير الدنيا والآخرة.

4 - قد يرد الدعاء قضاء مقَدَّراً عليك، فقد قال رسول

الله ﷺ: «**لا يرد القضاء إلا الدعاء**»؛ فإن الدعاء والقضاء يعتلجان أي يتعاركان في السماء فيطلب الدعاء القضاء.

فما هو الأفضل لك، مال أو رزق تطلبه أو بلاء يرد عنك؟

روي أن حطاباً كان يخرج كل يوم إلى الغابة ليحتطب، وكان يمر بجانب جبل؛ وقد قضى سبحانه وتعالى أن يقع الجبل ذات صباح فيسقط فوق الحطاب.

خرج الحطاب في ذلك الصباح من داره وقبل أن ينطلق إلى عمله وقف ورفع يديه بالدعاء قائلاً: «**اللهم لا أسألك رد القضاء ولكن أسألك اللطف فيه**».

صعد الدعاء وتعارك مع القضاء وتابع الحطاب سيره وعندما مرَّ قرب الجبل وقع بعض التراب على كتفه فنفضه، وعندما عاد في المساء سقط بعض التراب على كتفه فنفضه أيضاً؛ واستمر الأمر على هذا الحال أربعين سنة حتى نفذ الجبل ثم مات الحطاب. أرأيت كيف فعل الدعاء؟

كان الإمام الشافعي رحمه الله يقول:

أتهزأ بالدعاء وتزدريه
ولا تدري بما صنع الدعاء
سهام الليل لا تخطىء ولكن
لها أمد وللأمد انقضاء

نعم، إن القضاء يتغير بأمر الله تعالى: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾﴾ [الرعد: 39].

وأنت عزيزي القارىء، أيها الأفضل لك؟

إجابة طلبتك ودعوتك أن يرزقك ألف جنيه كما طلبت أو يرد بدعوتك قضاء كنت ستعاني منه أو يزيد حسناتك ويمحو سيئاتك فترتفع درجتك في الجنة وتزحزح عن النار؟

قد يزحزحك الدعاء عن النار عندما يمحو من سيئاتك ويزيد من حسناتك ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران: 185].

أما إن كنت من أهل الجنة فإن ذلك سيرفع من درجاتك فيها وما بين الدرجة والدرجة كما بين السماء والأرض، ولذلك يتمنى العبد يوم القيامة ألا تكون دعواته قد استجيبت في الأمور الدنيوية لأنها زائلة، وأن تكون قد ادخرت له للآخرة؛ ولذلك نقول أكثروا من الدعاء في كل حين، خصوصاً في الأوقات التي هي مظنة الإجابة.

ليلة القدر:

في ليلة القدر يتحدد مصير كل واحد منا للسنة التالية فقد قال تعالى في كتابه عن ليلة القدر ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [الدخان: 4]، كما جاء في سورة القدر ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا

بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤﴾ [القدر: 4]؛ و«**كل أمر**» تشمل كل أمور حياتنا، من سيتزوج، من سيطلق، من سيرزق بمولود ذكر أو أنثى، من سيولد، من سيموت وكيف سيموت، من سيربح وكم، ومن سيخسر وكيف وكم.

تصوَّر ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾ ولذلك فالناصح هو من يقضي ليالي العشر الأواخر من رمضان وخصوصاً ليالي الوتر منها في صلاة ودعاء، ولذلك عندما سألت السيدة عائشة رضي الله عنها الرسول ﷺ عمَّا تدعو به في هذه الليالي قال لها: «**قولي: اللهم إنك عَفُوٌّ تحب العفو فاعفُ عني**».

واعف عني يعني ارفع عني الأشياء السيئة، وهذا دليل على أن الدعاء يرد القضاء؛ ويعدِّل موقفك أمام الله تعالى؛ فهل تضحِّي بكل ذلك وتترك العبادة! إن العبادة هي ما تتحقق بعده المعونة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾.

إن كل عامل ينتظر أجره على عمله، فهل تعمل طوال الشهر دون أن تقبض مُرَتَّبك في آخره؟

ومن يقوم بالعبادة والأعمال الصالحة ينتظر أجره وهو الاستعانة والحسنات.

رأى الحسن البصري رحمه الله الناس قد خرجت من المسجد يوماً بعد أداء الصلاة مباشرة دون أن يدعوا فقال لهم: «أما لكم إلى ربكم حاجة؟» أي ألا يحتاج أحدكم إلى شيء

ولذلك خرجتم دون دعاء؟ لقد قمتم بما أمركم به تعالى وهو العبادة، وبعد العمل يطلب العامل أجره وطلب الأجر بعد العبادة يكون بالدعاء.

ولذلك أكثروا عباد الله من الدعاء خصوصاً دُبُرَ الصلوات المكتوبات فهذا الوقت من أوقات الإجابة، فتنالوا بذلك ثواب الدعاء ورد القضاء وإجابة الدعوات فهل هناك من كرم أعظم من كرم الله تعالى؟

يمكنك أن تطلب رد أذى المؤذي عنك، أن لا يعاملك أحد بطريقة سيئة أو بما يسيء لك، تطلب أن يغفر لك ذنبك ويتقبل عملك ويتجاوز عن سيئاتك وأن يغفر لك ويعفو عنك ما قدمت وما أخرت، أن يشفي لك قلبك ويشرح لك صدرك وينير بصرك وبصيرتك وأن يهدي أولادك إلى طاعة الله ولما فيه صلاح أمر دينهم ودنياهم؟ احمد الله على ما أنت فيه من نعمة واشكُ إليه وحده ما تعانيه من ضيق.

كان أحد الصحابة يصلي خلف الرسول ﷺ ثم يخرج راكضاً إلى منزله، فاستوقفه الرسول ﷺ وسأله عن سبب ذلك فقال: يا رسول الله، إنَّا أنا وزوجتي لا نملك إلا هذا الثوب ونحب أن نصلي معك، ولذلك أسرع بعد أداء الفرض إلى داري لأعطيها الثوب فتأتي وتصلي معك» فدعا له رسول الله ﷺ أن يرزقه ويغنيه.

عندما وصل الرجل إلى داره متأخراً سألته زوجته عن سبب تأخره، فأخبرها الخبر فقالت له: ويلك أتشكو الله لمحمد ﷺ.

تصوَّر أن جوابه لرسول الله ﷺ عن السبب اعتبرته زوجته أنه قد شكا إلى الرسول ﷺ فلا يجب أن يشكو أمره لغير الله تعالى فيدعوه ويطلب منه ويجيب الله دعاءه ويقضي حوائجه ويجبر كسره وضعفه وقلة ماله.

اللهم أجب دعاءنا يا رب العالمين واغفر ذنوبنا واستر عيوبنا آمين.

اللهم إنا نسألك دعوة مجابة وأعمالاً مرضية ونعوذ بك من بطن لا تشبع ونفس لا تقنع وعين لا تدمع ودعوة لا تسمع واجعل اللهم خير أعمالنا خواتيمها وخير أيامنا يوم نلقاك فلا تقبضنا إلا وأنت راضٍ عنا يا ربنا. وصل اللهم على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.